Al-Daleel

The Problem of Evils between Science and Religion

Sa'd al-Ghary
PhD in Islamic Philosophy, Al-Mustafa International University, Iraq.
E-mail: s.alghorri@aldaleel-inst.com

Summary
The contemplation of this amazing universe creates a question for pondering man about the creativity of this organized universe, which science cannot fully comprehend despite its development. However, some doubts may arise in man's mind, including the doubt of evil. Some people try to deny the existence of the Creator through this doubt, as well as to doubt some of the attributes of the Creator, such as knowledge, power, will, and benevolence. In this article, we try to study the roots of this question and discuss the claims from two perspectives: first, experimental sciences and, second, the teachings of the Islamic religion. The religious texts (the Qur'an and the Sunnah) provide clear solutions to refute this doubt. In this article, the analytical descriptive method was followed to explain the views of scientists about experimental sciences and religious texts, and then analyze them. The article tries to prove the claim in a demonstrative manner and to conclude that this doubt is too old and that scientific and religious replies have been sufficient to refute it with conclusive arguments.

Keywords: evils, the kinds of evils, science, religion.

Al-Daleel, 2023, Vol. 6, No. 1, PP.133-160
Received: 20/2/2023; Accepted: 22/3/2023
Publisher: Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies
©the author(s)

Al-Daleel
مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية
Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies

إشكاليّة الشرور بين العلم والدين

سعد الغري
دكتوراه في الفلسفة الإسلامية، جامعة المصطفى العالمية، العراق.
البريد الإلكتروني: s.alghorri@aldaleel-inst.com

الخلاصة

يخلق النظر إلى هذا الكون العجيب تساؤلًا عند المتأمّل في وجود إبداعٍ لهذا الكون المنظّم التي يعجز العلم عن الإحاطة بكلّ أجزاء النظام فيه رغم تطوّره، ولكنّ الإنسان قد تطرأ عنده بعض الشبهات، ومنها شبهة الشرور؛ إذ يحاول بعضهم عن طريق هذه الشبهة نفي أصل وجود الخالق، وكذلك التشكيك في بعض صفات الخالق كالعلم والقدرة والإرادة والخيريّة، ونحاول في هذه المقالة دراسة جذور هذه المسألة، ومناقشة الدعاوى من لحاظين، الأوّل العلوم التجريبيّة، والثاني من خلال بيان تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وما ورد بهذا الخصوص في النصوص الدينية (القرآن والسنّة الشريفة) من حلول التي يمكن تقديمها لدفع هذه الشبهة، واعتمدت في تقصّي هذه المشكلة المعرفية المنهج الوصفي التحليلي، من خلال بيان وجهات نظر العلماء في العلوم التجريبيّة والنصوص الدينية، ومن ثمّ تحليلها، وقد حاولت إثبات المدّعى بصورة برهانية، وتوصّلنا إلى أنّ هذه الشبهة قديمة والإجابات العلمية والدينية كفيلة بدحضها وإبطالها بالأدلّة اليقينية.

الكلمات المفتاحية: الشرور، أقسام الشرّ، العلم، الدين.

مجلة الدليل، 2023 ، السنة السادسة، العدد العشرون، ص. 133 – 160
استلام: 2023 /12/20 ، القبول: 2023 /3/23
الناشر: مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقديّة
© المؤلف
CC BY NC

المطلب الأوّل: مباحث تمهيدية

قبل الولوج في أصل البحث وتحديد محلّ النزاع لا بدّ من الإشارة الى بيان المصطلحات الأساسية فيه؛ إذ إنّ بعض المفاهيم تحتاج إلى توضيحٍ لبيان حقيقتها، وبيان وجه تمايزها عن غيرها من الحقائق، ومنها ما هو واضح لا يحتاج إلى تعريف، وإنّما يحتاج شرح الاسم والمفهوم الذي وقع موردًا للبحث.

1- تعريف الشرّ

أ- **الشر في اللغة**: ذكر علماء اللغة تعاريف عديدةً لمفهوم الشرّ، منها ما ذكره الجوهري في الصحاح فقال: «الشرّ نقيضُ الخير» [الجوهري، الصحاح، ج 2، ص 259]، وجاء في المِصباح: «الشرّ هو السوء والفساد والظلم، والجمع (شرور)» [الفيومي، المصباح المنير، ج 1، ص 309].

واستعمل في القرآن الكريم بمعناه اللغوي نفسه، أي نقيض الخير، وربّما استعمل في بعض مصاديقه من السوء والفساد والظلم [انظر: الطريحي مجمع البحرين، ج 3، ص 344]. وقال الراغب: «الشَّرُّ: الذي يرغب عنه الكلّ، كما أنّ الخير هو الذي يرغب فيه الكلّ، قال تعالى: ﴿شَرٌّ مَكَانًا﴾ [سورة يوسف: 77] ، و﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ﴾ [سورة الأنفال: 22] ... ورجل شَرٌّ وشِرِّيرٌ :متعاطٍ للشرّ ، وقومٌ أَشْرَارٌ، وقد أَشْرَرْتُه: نسبته إلى الشرّ، وقيل: أَشْرَرْتُ كذا: أظهرته» [الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 448].

ب- الشرّ في الاصطلاح

ذهب أغلب الحكماء إلى أنّ الشرّ أمرٌ عدميٌّ، ومنهم من أشار إلى أنّه معنًى نسبيٌّ، ومنهم من عرّفه بالنقص والجهل وغيرها، قال ابن سينا: «واعلم أنّ الشرّ يُقال على وجوهٍ: فيقال: شرٌّ لمثل النقص الذي هو الجهل والضعف والتشويه في الخلقة، ويقال شرٌّ لما هو مثل الألم والغمّ الذي يكون هناك إدراكًا ما بسببٍ، لا فقد سببٍ فقط» [ابن سينا، إلهيات الشفاء، ص 415].

وكذا عرّفه عند تعريفه للخير، فقال: «فالخير بالجملة هو ما يتشوّقه كلّ شيء في حدّه ويتمّ به وجوده، والشرّ لا ذات له، بل هو إما عدم جوهر، أو عدم صلاح لحال الجوهر» [ابن سينا، إلهيات الشفاء، ص 355].

وقال الميرداماد في تعريف الشرّ: «إنّ الخير هو ما يتشوّقه كلّ شيء ويبتغيه ويتوخّاه، ويتمّ به قسط كماله في رتبته وطبقته من الوجود ... فاذن ، الشرّ لا ذات له ، بل إنّما هو عدم ذات أو عدم كمال ذات أو عدم كمالٍ ما لذات. وحيثما ليس عدم الذات، ولا عدم كمال ما من كمالات تتشوّقها الذات، فمن على جبلّة العقل وفطرة الإنسانيّة لا يتوهّم هناك شرّيّة أصلًا، فالوجود كلّه خير، والشرّ كلّه عدم» [الميرداماد، القبسات، ص 428].

2- بيان الشبهة

يثبت الموحّدون والمعتقدون بوجود خالق لهذا الكون أنّ هذا الخالق له قدرة مطلقة وعلم مطلق وخيرية مطلقة، ومقتضى ذلك أنّه خلق العالم على أحسن نظام ممكن، وأفضل صورة ممكنة له، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى يوجد - كما هي الدعوى - في الخارج شرٌّ، كالنقص الحاصل في بعض الأمور والتشوّه الخلقي عند بعض الأطفال، وكالزلازل والبراكين والحروب و... وهنا انقسمت المواقف الفكرية والاعتقادية تجاه مسألة الشرّ إلى قسمين أساسيين:

القسم الأوّل: المنكرون لوجود الخالق الذين استندوا على هذه الشرور الموجودة في العالم لنفي الإله، وقالوا إنّه من حيث التصوّر العقلي يمكن أن يوجد العالم بصورةٍ ونظامٍ أفضل ممّا هو عليه فعلًا، وذلك بتصوّره من دون شرٍّ، وحاولوا من خلال هذا الفرض تعضيد معتقدهم في إنكار الخالق، وإيجاد الشبهات على أصل وجوده، أو ردّ ما يدّعيه الموحّدون من صفات لهذا الخالق وكونها صفاتٍ مطلقةً غير محدودة.

القسم الثاني: من لديه رؤية كونية إلهية واعتقاد بالصفات الكاملة للخالق، والتي آمن بها عن طريق الدليل والبرهان العقلي، ويعتقد بأنّ للخالق قدرةً مطلقةً وعلمًا مطلقًا وأنّه مريد للخير لعباده. ويستدلّ على ذلك بأدلّة عقلية على إثبات هذه الصفات للخالق وعدم تأثير الشرور في إثبات أصل وجوده.

لقد أصبحت مشكلة وجود الشرّ في العالم عند بعض المفكّرين مشكلة عويصة من الاعتراضات» :(Ronald Nash) الصعب حلّها، يقول الفيلسوف الأمريكي رونالد ناش على الإيمان بالله تظهر وتختفي ... لكنّ كلّ الفلاسفة الذين أعرفهم، يؤمنون أنّ أهمّ تحدٍّ «جادٍّ للإيمان بالله، كان في الماضي، وكائنٍ في الحاضر، وسيبقى في المستقبل، هو مشكلة الشرّ [Ronald H. Nash: Faith and Reason, p.177].

ويرى بعض الباحثين: «إنّنا أمام ثلاث قضايا اثنان منها يؤمن بها الموحّدون، وهي: "الله قادر مطلقًا" و"الله خيرٌ محضٌ ويريد الخير" وهناك قضية "وجود الشرّ"، وهذه القضايا لا يمكن اجتماعها على الصدق، أي أنّها متناقضة منطقيًّا، فلو صدقت اثنين منها وجب أن تكذب الثالثة. والموحّدون أدركوا هذا التناقض بينها؛ ولهذا حاولوا تبرير المقولة الثالثة وتأويلها لتجتمع مع القضيتين السابقتين، إلّا أنّ جميع المحاولات غير مقنعة، ويبقى الشرّ موجودًا، فاللازم سحب اليد عن القضيّة الأولى أو الثانية» [انظر: خسروبناه، مقالة: تبرير الشرور في الكون مجلة العقيدة، العدد 7].

وبناءً على ذلك فلا بدّ من تحليل حقيقة الشر وبيان مدى انسجامه وجوده مع نظام العالم الأصلح، أو تضادّه لذلك النظام.

المطلب الثاني: أقسام الشرّ

ذكروا أنّ الشر على أقسام (الميتافيزيقي والأخلاقي والطبيعي)، وقد ذكرها لايبنتز (Leibnitz) في كتابه «الثيوديسيا» (Theodicy):

[see: Leibnitz،Essays of Theodicy on the Goodness of God، chapter 2، p 21]

ورأوا أنّ الشبهة جارية في جميع هذه الأقسام، ويقصدون بها:

1- الشرّ الميتافيزيقي

هو الشرّ الذي يصيب عالم الإمكان بدءًا من عالم المادّة إلى عالم المجرّدات، وعلّته هي محدودية عالم الإمكان وضيقه بالنسبة لله المطلق ﷻ. يعبّر الفلاسفة المسلمون عن هذا الأمر بعدم الكمال المطلق. وقد ورد الشرّ الميتافيزيقي في عبارات أرسطو أيضًا، وذكروا أنّ علّة الشرّ وجود «المادة» و«الهيولى» التي هي أمر عدمي.

2- الشرّ الطبيعي الفيزيائي

يُطلق هذا الشرّ على شرور العالم الطبيعي من قبيل الزلازل والسيول المدمّرة والأوبئة والقحط والأعاصير وسائر الكوارث الطبيعية الاخرى.

3- الشرّ الأخلاقي

يُطلق على الشرور الناشئة من إرادة الإنسان واختياره، من قبيل المعاصي والأفعال القبيحة والحروب المدمّرة وأنواع الجرائم والظلم والعدوان التي تحلّ بالإنسان بيد أفراد نوعه، من الحكومات الجائرة وقوى الانحراف والعصابات وأمثالهم.

المطلب الثالث: جذور المسألة تاريخيًّا

يعتقد بعضهم أنّ أوّل من أثار هذه المسألة من الفلاسفة هو ديفيد هيوم. وهناك من يقول إنّ القضيّة قديمة، حيث يقول العقاد: «الشرور مشكلة المشاكل في جميع العصور، وليس البحث فيها مقصورًا على القرن العشرين، ولا نظنّ أن عصرًا من العصور يأتي دون أن تعرض فيه هذه المشكلة على وجهٍ من الوجوه، وأن يدور فيه السؤال والجواب على محور قديم جديد» [العقاد، عقائد المفكّرين، ص 51]. ويقول في موضع آخر: «أمّا شبهة الشرّ فهي من أقدم الشبهات

الـتي واجهـت عقـل الإنسـان منـذ عـرف التفرقـة بـين الخـير والـشرّ، وعـرف أنّهمـا صفتـان لا يتّصف بهما كائن واحد» [العقاد، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، ص 9].

والصحيح أنّ هذه المسألة قد تعرّضت لها الفلسفة اليونانية منذ القدم واختلفت الأقوال فيها:

مبـدأه المثـنى، يقـول فيثاغـورس بعـد أن يقسّـم العـدد إلى آحـاد ومثـنى: فالآحـاد هـو مبـدأ النظام الروحاني، والثناء (المثنى) هو مبدأ الانقسام، واللامعقول والشرّ.

وعنـد هرقليطـس (Heraclitus) الخـير والـشرّ نسـبيان لا يوجـد أحدهمـا إلّا بوجـود الآخـر ولا يفهم إلّا بالنسبة إليه.

و بارامنيدس (Parmenides) يرى أنّ الوجود هو الخير، وأنّ الشرّ أمر ظاهري صرف.

وإمبازقليـس (Empathocles) يـرى أنّ الخـير والـشرّ يتصـارعان فيمـا بينهمـا، ويصـدران عـن مبدأين متعارضين هما المحبّة والكراهية، وسينتهي الصراع بفوز الخير.

وديمقريطس (Democritus) يرى أنّ الخير والشر كليهما ناتج عن صدفة اللقاء بين الذرّات.

بينمـا عنـد السوفسـطائية الخـير هـو النافـع والـشرّ هـو الضـارّ، والتميـيز بينهمـا يكـون عـن طريق اللذّة، فما يحقّقها هو الخير، وأمّا الذي يحقّق الألم فهو الشرّ، وكلاهما حسّيّان.

وأمّـا سـقراط فـيرى أنّ منشـأ الـشرّ هـو الجهـل، ولا أحـد يرتكـب الـشرّ وهـو عالـمٌ بأنّـه شرٌّ. [انظر: بدوي، موسوعة الفلسفة، ج 3، ص 186].

وأفلاطـون يقـرّر بأنّ الشرّ ليـس بوجود، ولكنّـه يحصل في الوجـود الواقعي، وهو المتعدّد والمحسـوس والظاهـري. وإنّـه يصـدر عـن المـادّة وعـن طبيعة ما هـو جسـماني، وعن عـدم التحديد والتعـيّن وعن الاضطـراب في النظـام. يقـول: «إنّ الله لأنّـه هـو الخير لا يمكن أن يكـون علّة الـشرّ، وليس هو علّة كلّ شيءٍ كمـا يقـول العامّـة، وفيمـا يتعلّـق ببني الإنسـان فـإنّ الله علّـة لأحـداث قليلة، وليـس علّةً لأمور كثيرة؛ لأنّ شرورنا أكثر من أفعالنا الخيّرة» [أفلاطون، محاورة السياسة، ح 379].

وأرسـطو تـارةً يربـط الـشرّ بالهيـولى، وأحيانًـا بالإفـراط والتفريـط في الأعمـال الأخلاقيـة، فكأنه يؤكّد أنّ الشرّ هو عدم وسلب. [انظر: بدوي، موسوعة الفلسفة، ج 3، ص 187]

بحسـب مـا جـاء في التاريـخ فـإن الفيلسـوف أبيقـور (-342 270 ق .م) - الذي أسّـس المدرسـة الأبيقوريـة في أثينـا - أوّل مـن عـرض هـذه المسـألة بصـورة تقريـر علـمي، فهـو يقـرّر صراحـةً أنّ الـشرّ إيجـابي ويسـود عالـم الوجـود، ووجـود الـشرّ في الكـون يـدلّ على أنّ الآلهـة لا يعنـون بالعالـم. [انظر: بدوي، موسوعة الفلسفة، ج 3، ص 81]

ويقـرّر الشـبهة: إمّـا أنّ الله يريـد زوال الـشرّ ولكنّـه لا يقـدر على ذلـك، وإمّـا أنّـه يقـدر على ذلـك ولكنّـه لا يريـد ذلـك، وإمّـا أنّـه لا يريـد ولا يقـدر، وإمّـا أنّـه يريـد ويقـدر. فـإن كان يريـد ولا يقـدر فهـو عاجـز، وإن كان يقـدر ولا يريـد فهـو حاسـد، وإن كان لا يريـد ولا يقـدر فهـو حاسـد وعاجز، وإن كان يريد ويقدر، فلماذا وجدت الشرور؟ ويمكن وصف محاججته بما يلي:

إذا كان يوجد إله كامل القدرة والمعرفة والخير بالعالم، إذن لن يوجد الشرّ.

يوجد شرٌّ في العالم.

إذن، لا يوجد إله كامل القدرة والمعرفة والخير في الآن ذاته.

ورغـم أنّهـم يقولـون بهـذا القـول إلّا أنّهـم يعتقـدون بـأنّ الـشرّ لا يوجـد إلّا في الجزئيـات، أمّـا في الـكلّ فهـو غـير موجـود؛ لأنّ الـكلّ بمـا هـو كلٌّ خـيرٌ. وعلى الحكيـم إذن أن يتّبـع الـكلّ ولا يحفـل بالجزئيـات؛ ولهـذا فـإنّ الألـم والمـوت غـير موجوديـن بالنسـبة إليـه، وحـتى لـو وضـع في جـوف ثـور فالاريس - وهو جوف تتأجج فيه النيران - فإنّه سيشعر كما لو كان راقدًا في سريره الوثير!

والجواب الذي يقترحه أبيقور متأرجح بين أربعة احتمالات:

يريد الإله منع الشرور ولكنّه لا يقدر، فهذا عجز في حقّه.

يستطيع الإله منعَ الشر ولكنّه لا يريد، فهو إذن إله شرّير، بل هو أصل الشرور فى العالم!

يسـتطيع الإله منـع الـشرور ويريـد منعهـا، وحينئـذٍ مـن أيـن تـأتي هـذه الـشرور الموجـودة في العالم؟ ولم لا يمنعها الإله؟

لا يسـتطيع الإله منـع الـشرور ولا يريـد ذلـك، فقـد اجتمـع فيـه إذن العجـز والـشرّ فليـس إلهًـا، ولا وجود إذن للإله الخالق!

ومـن البـدهي أن هـذه الاحتمـالات الموضوعـة على شـكل عناويـن مختـصرة تختـزل تعقيد المشـكلة وتسـطّح نتوءاتهـا الراجعـة إلى عـدم تحريـر التعريفـات والاصطلاحـات، وعـدم انضبـاط مقدّمـات البراهين. والإشكالات العميقة لا يمكن الجواب عنها دون تفصيل وبيان.

المطلب الرابع: تفسير الشر في الأديان

هـذا المصطلـح له معـانٍ متعـدّدة في الأديـان، وتبعًا لهذه المعـاني تغيّرت الآثـار المترتّبة عليـه، فمنهم مـن اعتقـده مؤثـرًا بحـدّ ذاتـه كالمثنويـة، ومنهـم من حملـه على وجـوده في النـاس كالبوذيـة، ومنهم من حملـه على مـا هو غير مرغـوب شرعًا، ومنهم على الذي يضرّ بالإنسـان، مع ملاحظـة أنّ الأديان خاطبت الناس مخاطبات عرفية، وهنا نشير إلى نظرية الدين الإسلامي وحلوله لهذه المشكلة.

حين نستطلع الآيات الكريمة والروايات الشريفة، التي تبيّن لنا نظرة الشارع المقدّس إلى المصطلحات باعتبار المخاطب العرفي بها؛ نجد أنّ النصوص الدينية من الآيات المباركة والروايات الشريفة تشير إلى الشرّ في معانٍ متعدّدة، فالمعنى المراد من الشرّ في القرآن الكريم والروايات المباركة متعدّد، فتارةً يُطلق الشرّ ويراد منه الاسم وأخرى يراد منه الوصف، قال الراغب: «الخير والشرّ يقالان على وجهين: أحدهما: أن يكونا اسمين كما تقدّم، وهو قوله: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [سورة آل عمران: 104]. والثاني: أن يكونا وصفين، وتقديرهما تقدير (أفعل منه)، نحو: هذا خيرٌ من ذاك وأفضل» [الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 160].

ومن خلال فلسفة الشرور والغاية منها في الآيات والروايات يمكن التعرف على معاني الشرّ فيها والتي هي كثيرة؛ ويمكننا عن طريقها تفسير هذه المشكلة منها:

وسيلة للابتلاءات الإلهية: قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [سورة العنكبوت: 3].

باعتبار أنّ الابتلاءات واحدة من الأمور التي يعتبرها بعضهم شرًّا، والله تعالى في كلامه الكريم يبيّن أن هذه الأمور التي تعدّ فتنةً وشرورًا تعود في واقع الأمر بالنفع على العبد، وأنّها من باب الاختبار والتمحيص.

يقول الطريحي: «والفتنة في كلام العرب: الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصله من فتنت الفضّة إذا أدخلتها في النار لتتميّز» [الطريحي، مجمع البحرين، ج 6، ص 291].

وقال عزّ من قائلٍ: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة آل عمران: 141].

جاء في مجمع البحرين: «أي يخلّصهم من ذنوبهم وينقّيهم منها. يقال محّص الحبل: إذا ذهب منه الوبر حتّى يخلص. وفي الحديث: «لا بدّ للناس أن يمحّصوا ويغربلوا»، أي يبتلوا ويختبروا ليعرف جيّدهم من رديّهم. وفي حديث عليٍّ عليه السلام وذكر فتنة فقال: «يمحّص الناس فيها تمحّص ذهب المعدن من التراب»، أي يختبرون فيها كما يختبر الذهب ليعرف الجيّد من الرديء، من التمحيص وهو الابتلاء والاختبار. ومحّص الله العبد من الذنب: طهّره. وقولهم: ربّنا محّص عنّا ذنوبنا، أي أذهب عنّا ما تعلّق بنا من الذنوب» [الطريحي، مجمع البحرين، ج 4، ص 183].

وفي الرواية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: «سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وهَدَيْنَاه النَّجْدَيْنِ﴾، قال: نجد الخير ونجد الشرّ» [الكليني، الكافي، ج 1، ص 124].

الفقر والفاقة: جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذا مَسَّه الشَّرُّ جَزُوعًا﴾، قال الإمام جعفر

الصادق عليه السلام: «الشرّ: هو الفقر والفاقة» [القمّي، تفسير القمّي، ج 2، ص 386]. وجاء في تفسير قوله تعالى في تفسير مجمع البحرين: «﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ هَلُوعًا﴾ أي حريصًا، ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ يعني الفقر والفاقة ﴿جَزُوعًا ۞ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ﴾ الغنى والسعة ﴿مَنُوعًا﴾، وفي حديث صفات المؤمن لا جشعٌ ولا هلعٌ من الهلع وهو أفحش الجزع» [الطريحي، مجمع البحرين، ج 4، ص 411].

للوصول إلى مقامات إلهية عالية كالإمامة: قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة: 124].

مقدّمة للخروج من الظلم والاستبداد: قال عزّ اسمه: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [سورة البقرة: 49]، فهنا كان الابتلاء والشرور.

الكفر والشرك بالله تعالى: عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إِنَّ نُطْفَةَ الْمُؤْمِنِ لَتَكُونُ فِي صُلْبِ الْمُشْرِكِ، فَلَا يُصِيبُهُ مِنَ الشَّرِّ شَيْءٌ، حَتّى إِذَا صَارَ فِي رَحِمِ الْمُشْرِكَةِ، لَمْ يُصِبْهَا مِنَ الشَّرِّ شَيْءٌ حَتَّى تَضَعَهُ، فَإِذَا وَضَعَتْهُ، لَمْ يُصِبْهُ مِنَ الشَّرِّ شَيْءٌ حَتّى يَجْرِيَ عَلَيْهِ الْقَلَمُ» [الكليني، الكافي، ج 3، ص 37].

بعض الصفات التي أشير إليها في الآيات والروايات منها:

السوء والفساد والظلم: قال الطريحي: «وفي الحديث ولد الزنا شرّ الثلاثة ... والشرّ: السوء والفساد والظلم والجمع شرور» [الطريحي، مجمع البحرين، ج 3، ص 344].

المنكر: عن الإمام الصادق عليه السلام: «وَرَأَيْتَ الشَّرَّ ظَاهِرًا لَايُنْهى عَنْهُ وَيُعْذَرُ أَصْحَابُهُ» [الكليني، الكافي، ج 15، ص 109].

البخل: قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ﴾ [سورة آل عمران: 18].

عدم التعقّل: قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأنفال: 22].

الظلم: عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «شَرُّ النَّاسِ عِندَ اللهِ يَومَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُكرَمُونَ اتِّقَاءَ شَرِّهِم» [الكافي، ج 2، ص 327 باب من يتّقى شرّه]. عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ شَرَّ النّاسِ عِنْدَ اللهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ» [نهج البلاغة، الخطبة 164]، أي الذي يظلم الناس، وعنه عليه السلام: «شَرُّ النَّاسِ مَن يَظلِمُ النَّاسَ» [الآمدي، غرر الحكم، ص 408، الحكمة 5].

عدم قبول العذر وعدم العفو عن الناس: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «شَرُّ النّاسِ مَن لَا يَقبِلُ العُذرَ وَلَا يُقِيلُ الذَّنبَ» [الآمدي، غرر الحكم، ص 409، الحكمة 14].

الخوف من الناس وعدم الخوف من الله، عن أمير المؤمنين عليه السلام: «شَرُّ النّاسِ مَنْ يَخْشَى النّاسَ فى رَبّه وَ لَا يَخْشى رَبَّهُ فِى النّاسِ» [الآمدي، غرر الحكم، ص 412، الحكمة 68].

سلب الخيرات: جاء في «مناهج البيان» في تفسير قوله عز وجل: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾: «أنّ المراد بالشرّ في الآية ما يعمّ الضرر من الأمور الوجوديّة مثل البلاء والعذاب، ومن الأمور العدمية مثل سلب المواهب والكرامات وسلب الخيرات والحسنات، مثل تبديل الصحّة بالمرض والأمان بالخوف. ويقع مصداقًا للقبيح والمعصية، إذا كان من أفعال غيره تعالى» [الميانجي، مناهج البيان في تفسير القرآن، ج 30، ص 748].

المرض: «عن جعفر، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام: أنّ أمير المؤمنين مرض مرضًا شديدًا، فعاده إخوانه، وقالوا له: كيف تجدك يا أمير المؤمنين؟ قال: بشرٍّ! فقالوا: سبحان الله ما هذا كلام رجلٍ مثلك! فقال: يقول الله تعالى ذكره: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾، والخير في الصحّة والغنى، والشرّ في المرض والفقر» [المامطيري، نزهة الأبصار ومحاسن الآثار، ص 217].

الجهل: عن الإمام الباقر عليه السلام في وصيّته لجابر بن يزيد الجعفيّ: «ادفَع عَن نَفسِكَ حاضِرَ الشَّرِّ بِحاضِرِ العِلمِ» [الحرّاني، تحف العقول، ص 285؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج 75، ص 163].

نتيجة الجهل، وهذا المعنى نراه في طائفة من الروايات نذكر منها:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «الجَهلُ رَأسُ الشَّرِّ كُلِّهِ» [ري شهري، موسوعة العقائد الإسلامية، ج 1، ص 357].

عن الإمام عليٍّ عليه السلام: «الجَهلُ أصلُ كُلِّ شَرٍّ» [الآمدي، غُرَرُ الحِكَم ودُرَرُ الكَلِم، ص 819].

عن الإمام الصادق عليه السلام: «الْخَيْرُ وهُوَ وَزِيرُ الْعَقْلِ، وجَعَلَ ضِدَّه الشَّرَّ وهُوَ وَزِيرُ الْجَهْلِ» [الكليني، الكافي، ج 1، ص 69].

وهناك الكثير من المعاني التي تشير إلى الجهل، والمراد منه غير ما ذهب إليه أصحاب الشبهة كما سيأتي بيان ذلك في الحلول المدعاة والرأي المختار.

فمن خلال ما قدّمناه يتّضح لنا أنّ الشارع المقدّس لم يغفل عن هذه المسألة، وبيّنها بما يناسب الذهن العرفي، وأشار لها إشاراتٍ واضحةً يقبلها العقل البسيط، المؤمن بالله تعالى، فالإنسان المؤمن تكفيه هذه الإجابات المنصوصة، أمّا غير المؤمن أو المشكّك فتحتاج إلى تبيين أكثر، وهذا ما سنذكره في الحلول.

المطلب الخامس: تفسير الشرّ علميًّا

لم يتوصّل العلم رغم ما بلغ من التقدّم والتطوّر إلى أسباب وجود بعض الأمور والغاية منها؛ وذلك يعزى إلى أنّ العلوم الحالية تعتمد على الحسّ والتجربة في إصدار أحكامها، وهي بدورها تحتاج إلى تكرار المشاهدة ، وتستقرئ وجود الأثر عند وجود مؤثّره حتّى تحكم بالأسباب والمسبّبات، والخوض في مثل هذه الأمور يحتاج إلى وقت ليس بمقدور الإنسان عيشه؛ لأنّ بعض التجارب العلمية والمشاهدات تحتاج إلى أكثر من عمر الإنسان بعشرات المرّات كي يُحكم بصحّتها أو عدم صحّتها. وكذلك تفشل في تفسير بعض الأمور الميتافيزيقية كونها خارجةً عن الحسّ.

ولكن على قلّة ما تمكّن العلم التجربي من كشف أسرار بعض الموجودات، يتّضح أنّ كلّ ما يكشف لنا على هو أتّم الإبداع، وخارج عن الشرّيّة المدّعاة وينفي العبثية بضرس قاطع.

فمن خلال ظاهر بعض الحالات يتراءى لنا ونظنّ بأنّ ضررها أكثر من نفعها، بينما قد أثبت العلم أهمّيّتها بل ضرورتها أو على الأقلّ كون خيرها أكثر من ضررها بمرّات كثيرة، وهذا يتلاءم مع التقسيم العقلي للشرّ، وأنّ الموجودات ضررها أقلّ من نفعها، فلا يمكن تصوّر شيء موجود ضرره أكثر من نفعه. نعم، قد يكون الضرر نسبيًّا، ولكن إن قسناه الى النظام العامّ والكون نجده قليلًا جدًّا بل لا يكاد يؤثّر.

ونرجع إلى ما يمكن للعلم تفسيره من أقسام الشرور آنفة الذكر، وهما الشرور (الطبيعية والأخلاقية)، فيمكن أن تقع ضمن تفسير العلم ونرى المعطيات المخرجة من خلال التجارب والاكتشافات العلمية لبعض ما ادّعي شرّيّته. أمّا الشرور الميتافيزيقية فهي خارجة عن تفسير العلم، فتقع ضمن معطيات الدين والحكمة.

أوّلًا: الشرور الطبيعية

سنذكر هنا بعض الأمثلة بما يسع المجال:

أ- البراكين والزلازل

حينما تحصل هاتان الظاهرتان فإنّهما تخلّفان دمارًا في المناطق وخسائر مادية وبشرية، وكذا تبعاتها من قبيل التسونامي (الموجات القاتلة) والتي هي إحدى نتائج حدوث هزة أرضية داخل المحيطات، كما وتؤدّي إلى أضرار اقتصادية وإزهاق الأرواح وتغييرات جغرافية وتصاعد الأبخرة السامة والخوف الشديد وإرباك الخدمات الحيوية (الكهرباء والماء ...)، علاوةً على الصدمة النفسية للناجين وغيرها.

وآخر الاكتشافات العلمية توصّلت الى أن لبّ الأرض متكون من جزئين داخلي صلب وخارجي سائل متكون من معادن منصهرة، ويدوران بسرعات مختلفة، ويولّد عن ذلك تيّارات كهربائية، فينتج المجال المغناطيسي، وبين فترة وأخرى تتنفّس الأرض عن طريق هذه النيران، فقسمٌ من هذه التنفيسات تخرج على شكل أبخرة وحمم عن طريق البراكين، والقسم الآخر تؤثّر على الطبقات الأرضية وتحرّكها من مكان الى آخر، فتظهر آثارها بصورة زلازل، وبعضها يسبّب حركاتٍ عنيفةً للمياه في البحار فيتولّد التسونامي.

[Physical Geology-Exploring the Earth-6th Edition. chapter5 , p.132]

فوائد البراكين والزلازل

مع الأسف هناك الكثير ممّن يدعي وجود الشبهات نتيجةً لعدم اطلاعه أو جهله، مع أنّ الجهل بالشيء لا ينفي فائدته، فهناك الكثير من الفوائد، بل تكاد تكون المضارّ لا تقاس بالفوائد، و يمكننا تقسيمها إلى:

الفوائد العلمية:

الزلازل تولّد موجاتٍ تسمّى الموجات الزلزالية (seismic waves) وبدونها لما استطاع علماء الفيزياء والجيولوجيا تشخيص التركيب الداخلي للأرض، فكلّ معلوماتنا عن هذا التركيب مصدرها الموجات الزلزالية التي تتحرّر من بؤرة الزلزال، وقد وجدوا أن باطن الأرض يتألّف من لبٍّ داخلي ولبٍّ خارجي وقشرة. وهذه فائدة عظيمة للعلماء لا يمكن إنكارها. [Physical Geology-Exploring the Earth-6th Edition. chapter 10, p. 299]

ومن خلال ذلك تجمّعت للعلماء معلومات كبيرة استثمروها في أبحاثهم العلمية التي لها الفضل في تجنّب البشرية بعض الأزمات والكوارث الطبيعية.

من أهم الآثار الإيجابية للبراكين ما يلي:

أنّ الموادّ البركانية غنية بالمعادن المفيدة للصناعة والزراعة مثل: البوتاسيوم والحديد والكبريت، ومن المعلوم أنّ التربة الغنيّة بالرماد البركاني من أخصب أنواع التربة.

تستخدم مياه الينابيع الحارة، التي تنفجر نتيجة النشاط البركاني في التطبيب والاستشفاء من الأمراض الجلدية والروماتيزم، ومن أمثلتها عين نجم بالأحساء.

تستخدم المياه الحارة المنبثقة من جوانب البركان كمصدر للطاقة أحيانًا، وقد استخدمت مثل هذه المياه في أيسلندا في الأغراض الزراعية، وذلك بإيصالها داخل أنابيب إلى مزارع

خاصة مكيفة للحصول على النباتات الاستوائية. وفي إيطاليا استعمل الدخان الأسود الناتج من الفتحات الغائرة تحت سطح الأرض في تشغيل المولّدات الكهربائية.

تكون فوهات البراكين بحيرات مياه قد يزيد قطرها على 3 كيلومترات، أو بحيرات مواد كيميائية كالأحماض التي تعدّ ثروةً طبيعيةً في حدّ ذاتها.

بناء أجزاء شاسعة من الأرض مثل هضبة الدكن بالهند وهضبة نهر كولومبيا بأمريكا الجنوبية.

من مخرجات البراكين الهامّة الكبريت الذي ينتج من تكثّف ثمّ تجمّد الغازات الكبريتية المتصاعدة في الغازات البركانية.

ب- البكتيريا

أحد الامور التي يتمسّك بها مدّعو شرّيّة الحياة هي وجود الأمراض التي تسببها البكتيريا، وقد غفلوا عن الآثار الإيجابية التي توفّرها البكتيريا بالنسبة الى حياة الإنسان ودورة الحياة في الطبيعة، ومن هذه الفوائد:

الأهمّية الاقتصادية للبكتيريا مستمدّة من حقيقة أنّ البكتيريا تستغلّ من قبل البشر في عدد من الطرق المفيدة.

على الرغم من أن بعض أنواع البكتيريا تلعب أدوارًا ضارّةً مثل التسبّب بالأمراض وفساد الطعام، فإنّ العديد من أنواع البكتيريا تقوم بأدوار مهمّة في كلٍّ من الزراعة والصناعة. تتكافل مجهودات الكيمائيين والمهندسين ومختصّي الأحياء الدقيقة في استعمال أنواع كثيرة ومختلفة من الكائنات الحيّة الدقيقة من أجل الحصول على كسب اقتصادي، أو منع حدوث خسارة اقتصادية. هناك العديد من الموادّ المتوفرة لاستخدام الإنسان وهي نتاج نشاط ميكروبي، بعضها يستعمل منذ القدم، وهو يعبر عن العمليات التعاقبية لإنتاج مادة ما صناعية بواسطة الأحياء الدقيقة بالتخمير، على عكس المفهوم الشائع، فان هذه العمليات تحتاج إلى كمّيات كبيرة من الهواء، وتتمّ في صهاريج ضخمة يسمّى كلٌّ منها «مخمارًا»، ويتم التحكّم في درجة حرارة المخامير وحموضة الوسط الذي تحتويه وتهويته لتوفير الظروف المثلى لتكاثر الكائنات الدقيقة، وبالتالي الحصول على كمّيّات كبيرة من المنتوجات المرغوب فيها.

كما نستفيد منها في إنتاج العقاقير الطبّيّة، فهناك العديد من العقاقير الطبّيّة التي يتمّ إنتاجها صناعيًّا بواسطة الأحياء الدقيقة، وتعدّ المضادّات الحيوية التي تنتجها البكتيريا والفطريات منذ اكتشاف البنسلين سنة 1929 وتطوير صناعته سنة 1942، فوضع القاعدة

الأساسية لإنتاج هذة الموادّ المهمّة التي أصبحت المخوّلة أساسًا للعلاج الناجح للعديد من الأمراض البكتيرية وتحسين السلالات المنتجة هو أحد الأهداف الرئيسية لمجال الأحياء الدقيقة الصناعي.

وأفضل مثال على هذا هو ما تمّ التعامل به مع فطر البنسليوم المنتج للمضادّ الحيوي البنسلين. ولم تنتج المزرعة الأصلية لهذا الفطر البنسلين بكمّيّات كبيرة يصلح استغلالها اقتصاديًّا، ولكن تمّ عزل مزرعة جديدة أكثر فعالية في إنتاج البنسلين من ثمرة بطّيخٍ متحلّلة، فعولجت سلالة هذة المزرعة بواسطة الأشعّة فوق البنفسجية والأشعة السينية، فزاد من إنتاج هذا المضادّ الحيويّ أكثر من 100 ضعف، إذ تنتج السلالات المستعملة اليوم ما يعادل 60000 ميلي غرام لكلّ لتر.

ومن أمثلة المضادات الحيوية المنتجة (البنسلين، الستربتومايسين، البولى مكسين، السيفالوسبورين). استخدمت الكائنات الحيّة الدقيقة أيضًا في إنتاج عدد من الهرمونات البشرية وتحويرها، وبدورها تستعمل كعقاقير مثل الإنسولين وهرمون النموّ والستيرويدات المختلفة مثل الكورتيزون الذي يستعمل كمضادٍّ للالتهابات، وكذلك هرمون الإيستروجين والبروجيسترون اللذان يستعملان في عقاقير منع الحمل، ويجرى العمل بالاستعانة بتقنيّات الهندسة الوراثية واستخدام التقانة الحيوية على استخدام الأحياء الدقيقة في تصنيع لقاحاتٍ ضدّ بعض الأمراض المستعصية، مثل التهاب الكبد الوبائي البائي، ومرض الحمى القلاعية التي تصيب الأغنام والماشية. يجري إنتاج بعض أنواع الفيتامينات بكمّيّات كبيرة صناعيًّا بواسطة الأحياء الدقيقة، إذ تستعمل أنواع بكتيريا (pseudomonas) وبكتيريا (propionibacterium) لإنتاج فيتامين B12 وأنواع الفطر (ASHBYA) في إنتاج فيتامين B2، أمّا فيتامين C فينتج بالاستعانة بأنواع البكتيريا التابعة لجنس (ACETOBACTER).

[see: Serres MH, Gopal S, Nahum LA, Liang P, Gaasterland T, Riley M 2001]

ثانيًا: الشرور الأخلاقية

يشكل بعضهم على الواقع بما صنعه بعض الأشخاص المرضى نفسيًّا في العالم، من حروب وانتهاكات لقيم الإنسانية، وينسبها الى الخالق. فقد خلق الله تعالى الإنسان وجعل له قوًى تساهم في حفظ النسل والبقاء على قيد الحياة، ونلاحظ أنّ بعض الشرور الأخلاقية التي تظهر مبدأها الإنسان بإرادته الحرّة، ووضع القوانين للسيطرة على السلوك المنحرف الذي يظهر عند بعضهم نتيجة لخللٍ في نظامه المعرفي والثقافي. فالإنسان كائن قابل للتعلّم والترقّي وقابل للتسافل والتنازل، حتّى لو عاش في جنّة أرضية.

وقد خُلق الكون ضمن موازين ومقادير، فلو فرض أن يُجعل المجتمع كاملًا من كلّ شيء من دون تهذيب ولا رقيب، فإنّ ذلك سيؤدّي إلى الهلاك، وهذا ما تؤيّده بعض التجارب العلمية. فلو فرضنا أنّه قد تهيّأ للناس عالمٌ خالٍ من الزلازل والفيضانات، والرزق فيه معدٌّ على أبعد حدوده، فهل يمكن لنا أن نحكم بضرس قاطع أنّه سيولد لنا عالم مثالي خالٍ عن الشرور المدّعاة؟

تجربة الكون 25

خلق الله تعالى الإنسان، وجعل له قوًى تساهم في حفظ النسل والبقاء على قيد الحياة، ونلاحظ أنّ بعض الشرور الأخلاقية مبدؤها الإنسان بإرادته، فوضع القوانين للسيطرة على السلوك المنحرف الذي يظهر عند بعضهم نتيجة لخللٍ في نظامه المعرفي والثقافي. فالإنسان كائن قابل للتعلم والترقي وقابل للتسافل والتنازل، حتّى لو عاش في جنّة.

وقد خُلق الكون ضمن موازين ومقادير، فلو فرض أن يجعل المجتمع كاملًا من كل شيء من دون تهذيب ولا رقيب، فإنّ ذلك سيؤدّي إلى الهلاك، وهذا ما تؤيّده بعض التجارب العلمية، منها تجربة الكون 25(universe 25 experience) في الستينيات، بواسطة عالم السلوك الأمريكي جون كالهون (John Calhoun)، واعتُبرت واحدةً من أهمّ التجارب العلمية في التاريخ، وهي تجربة علمية اجتماعية درست و أظهرت سلوك الفئران في ظلّ ظروف مثالية للحياة. وكانت النتائج غير متوقّعة وتقشعرّ لها الأبدان. وكانت الغاية من الدراسة فهم كيفية تأثير الكثافة السكانية العالية على سلوك الفئران ومحاولة العلماء ربطها بعالم الإنسان والبشرية. ففي 9 تموز سنة 1968 بالتحديد، جرت تجربة يصفها بعضهم بالمرعبة، إذ جمع فيها فئرانًا ضمن شروط معينة، ووفّر لها كلّ ما تحتاج إليه من طعام وشراب ووسائل تحاج إليها، داخل صندوق لا تزيد مساحته الإجمالية عن سبعة أمتار مربّعة، وأسماها بجنّة الفئران (يوتيوبيا الجرذان)، الأمر المثير للدهشة أنّه خلال 600 يوم من هذه التجربة تغيّر السلوك الفطري لهذه الفئران وأصبح وحشيًّا مرعبًا، الذي عبّر عنها كالهون بـ «الاضمحلال السلوكي» لوصف السلوكيات الشاذّة في حالات الاكتظاظ السكاني، و«الأشخاص الجميلين» لوصف الأفراد غير النشطين الذين انسحبوا من التفاعلات الاجتماعية! تمّ تشكيل تسلسل هرمي بينهم، ثمّ ظهر ما يسمّى بـ «البؤساء» أو الضعفاء. بدأت القوارض الأكبر في مهاجمة الأصغر والأضعف، ممّا أدى إلى أن العديد من الذكور بدأوا في الانهيار نفسيًّا. ونتيجة لذلك، لم تحمِ الإناث أنفسهنّ وأصبحن بدورهن عدوانياتٍ تجاه صغارهنّ. مع مرور الوقت، أظهرت الإناث المزيد والمزيد من السلوك العدواني والعزلة وانعدام المزاج الإنجابي.

كان هناك معدل ولادة منخفض، وفي الوقت نفسه زيادة في معدّل وفيّات القوارض الأصغر سنًّا. ثمّ ظهرت فئة جديدة من ذكور القوارض، تسمّى «الفئران الجميلة». والتي رفضت التزاوج مع الإناث أو القتال من أجل منطقتهم، كلّ ما كانوا يهتمّون به هو الطعام والنوم.

في وقت من الأوقات، كان هؤلاء الذكور والإناث يشكّلون غالبية السكان. مع مرور الوقت بلغ معدل وفيّات الأحداث ٪100 ووصل الإنجاب إلى الصفر. بين الفئران المهدّدة بالانقراض، لوحظ الشذوذ الجنسي، وفي الوقت نفسه، زاد أكل لحوم بعضها بعضًا، على الرغم من حقيقة وجود الكثير من الطعام. بعد عامين من بدء التجربة، ولد آخر طفل في المستعمرة. بحلول عام 1973، قتل آخر فأر في «الكون 25». كرّر جون كالهون التجربة نفسها 25 مرة أخرى؛ لذلك سمّيت بـ (الكون 25)، وفي كلّ مرّة كانت النتيجة واحدة. فتحوّلت الجنّة إلى جحيم بعد خمس سنواتٍ تقريبًا.

هذا العالم النموذجي الذي صنعه (كالهون) لنوع واحد تتّحد في الغرائز من الحيوانات وتبدّل إلى جحيم، فكيف يمكن أن نفترض عالمًا كهذا لبني الإنسان الذين يختلفون في أخلاقهم ومصالحهم، فهذه التجربة تبيّن استبعاد حصول الجنّة الأرضية إلّا بحصول أمر إلهي خارق للعادة.

لصعوبة إجراء التجربة على البشر، وظّف عالم النفس جوناثان فريدمان (Jonathan Friedman) مجموعةً من طلاب المدارس الثانوية والجامعات لإجراء سلسلة من التجارب لقياس آثار الكثافة السكانية على السلوك، وقاس ضغطهم وانزعاجهم وعدوانيتهم وتنافسهم وعدم رضاهم العام، وكان ذلك عام 1975.

وما نشهده حاليًّا في مجتمع اليوم من رجال ضعفاء لديهم مهارات قليلة أو معدومة، وإناث مفرطات في الانفعال والعدوانية بدون غرائز أمومية طبيعية، وجرائم قتل يشيب لها الولدان في المجتمعات البشرية العالمية، فيمكن للمتأمل يرى وجه الشبه بينها وبين تجربة (الكون 25).

قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [سورة الشورى: 27]، فأغلب المشاكل الأخلاقية التي نراها - إن لم نقل كلّها - ناتجة من الإنسان نفسه، وأكبر الفجائع الإنسانية التي ينقلها التاريخ، ومنها فاجعة الطفّ الإليمة وقتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته، والحروب الصليبية والعالمية وغيرها سببها حبّ الإنسان لنفسه، والتصرّف الحاصل من الإنسان بكامل اختياره وعقله.

يتحصّل أنّ الشرّ الأخلاقي المدّعى إنّما هو من طبيعة الإنسان، فالمشكلة عند الإنسان

بإرادته وليس بالجبر، وكلّ الموجودات ترغب بالتكامل والعيش، وإن أدّى إلى حصول المنازعات وتغليب المصلحة الشخصية، فالحيوانات المفترسة ضمن غريزتها تحاول التكامل حتّى لو افترست الطفل الصغير، كذلك السارق حينما يسرق ينظر إلى مصلحته الشخصية، فكلٌّ يرتقي في سلّم تكامله الغريزي، فلا يمكن رؤية أيّ نوع من أنواع الشرور، بل خير محض وإن سبّب بالتبع بعض الأضرار.

المطلب السادس: الردّ على إشكالية الشرّ

بصورة عامّة هناك عدّة ردود على هذه المعضلة، منها ما قد اعترفت بوجود الشرّ، ومنها ما اعتبره نسبيًّا، ومنها من اعتمدت على عدميته، نذكر منها:

1- الشرّ عدم ملائمة الطباع

قال المحقّق الطوسي: «تفسير ما ورد أنّه تعالى خالق الخير والشرّ: أريد بالشرّ ما لا يلائم الطباع وإن كان مشتملًا على مصلحة» [المقداد السيوري، الأنوار الجلالية في شرح الفصول النصيرية، ص 138].

ثمّ يفسّر هذا القول العلّامة المجلسي في «مرآة العقول»: «وتحقيق ما ذكره أنّ للشرّ معنيين: أحدهما: ما لا يكون ملائمًا للطبائع كخلق الحيوانات المؤذية، والثاني ما يكون مستلزمًا للفساد، ولا يكون فيه مصلحة، والمنفيّ عنه تعالى هو الشرّ بالمعنى الثاني لا الشرّ بالمعنى الأوّل، وقال الحكماء: ما يمكن صدوره من الحكيم إمّا أن يكون كلّه خيرًا، أو كلّه شرًّا، أو بعضه خيرًا وبعضه شرًّا، فإن كان كلّه خيرًا وجب عليه تعالى خلقه، وإن كان كلّه شرًّا لم يجز خلقه، وإن كان بعضه خيرًا وبعضه شرًّا فإمّا أن يكون خيره أكثر من شرّه، أو شرّه أكثر من خيره، أو تساويا، فإن كان خيره أكثر من شرّه وجب على الله خلقه، وإن كان شرّه أكثر من خيره أو كانا متساويين لم يجز خلقه، وما نرى من المؤذيات في العالم فخيرها أكثر من شرّها» [المجلسي، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ج 2، ص 179].

2- الشرّ متعلّق بعالم المادّة

قد ثبت في محلّه أنّ الموجودات المادّية لها في طبيعتها ما بالقوّة، فالبذرة لها قابلية أن تتحوّل إلى شجرة، والنطفة إلى جنين، وهكذا دورة الحياة، فالموجود الذي في طبعه ما بالقوّة أي التحوّل من شيء إلى شيء آخر مسانخ للأول هذا يلحقه الشرّ، فكلّما كانت ما بالقوّة في الموجود أكبر كان الشرّ أكثر، فهناك تناسب طردي بين ما بالقوّة والشرّ، يقول الميرداماد: «كلّ شيء وجوده على كماله الأقصى وليس فيه ما بالقوّة، فلا يلحقه شرٌّ. وإنّما الشرّ يلحق ما في طباعه ما بالقوّة، من جهة المادّة الحاملة للقوّة الاستعدادية. فعالم التحميد والتسبيح بريء

من وجه الشرّ مطلقًا. ثمّ كلّ ما كان ما بالقوّة فيه أقلّ كان قسط البراءة عن الشرّ فيه أوفر وأكثر» [الداماد، القبسات، ص431].

فهذا يزهد بالدنيا ويبيّن أنّ الشرّ متعلّق بعالم المادّة، والتي بزوالها يزول الشرّ بناءً على هذا المبنى.

3- الشرّ موجود بالعرض وليس بالذات

ما نراه من شرور داخل في مراده تعالى بالعرض لا بالذات، يقول العلوي العاملي: «لا يخفى أنّ خلق الشرّ وإيجاده تعالى بالعرض لا بالذات، بل ذلك تبعًا لإيجاده الخيرات. ألا ترى أنّ خلق الماء فيه منافع كثيرة وشرور قليلة كهدم بعض الأبنية وهلاك بعض الأشخاص، والواجب ﷻ إنّما أوجده للأوّل من الأمرين لا للأخير، فيكون المطلوب منه هو الحسن لا القبيح، وكذا إنّ ما خلق مشتمل على خيرات كثيرة وشرور قليلة، وليس خلقه إلّا لاشتماله على الخيرات، لا لاشتماله على الشرور أو لاشتماله عليهما معًا، فيكون وقوع الشرّ منه تعالى بالعرض لا بالذات ... ثمّ بما قرّرنا من دخول الشرّ القليل بالعرض في المشيّة تبعًا للخير الكثير مثلًا. إنّ الله تعالى مشيّته وإرادته ليست إلّا أن يتحقّق خير كثير يلزمه شرٌّ قليلٌ، ولا يقدح في ذلك وقوع شرّ قليل داخل في فعله بالعرض والتبع» [العلوي العاملي، الحاشية على أصول الكافي، ص 375].

فما يمكن فرضه من مخلوقات على خمسة أقسام:

ما هو خيرٌ محضٌ.

ما خيره أكثر من شرّه.

ما يتساوى خيره وشرّه.

ما شرّه أكثر من خيره.

ما هو شرٌّ محضٌ.

ولا يمكن تصوّر وجود شيء من الثلاثة الأخيرة لوجود لازم فاسد، وهو الترجيح من غير مرجّح، أو ترجيح المرجوح على الراجح، وهذا باطل على الإله الحكيم ولا يمثّل النظام الأصلح، فما يوجد من الشرّ نادر قليل بالنسبة إلى ما يوجد من الخير وإنّما وجد الشرّ القليل بتبع الخير الكثير. [انظر: الطباطبائي، تفسير الميزان، ج 13، ص 187 و188]

لذلك ورد في الدعاء عن الإمام الصادق ﷺ: «والْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ والشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ» [الكليني،

الكافي، ج 3، ص 314]، فهناك نوع من ملازمة عدم العلم والاطّلاع الناقص على العالم تؤدّي إلى الوقوع في الخطإ في التحليل، من قبيل الدواء المرّ الذي يشربه الطفل، والذي يعتقده شرًّا ولكنّه مقدمة ليدفع عنه الألم الدائم، ويجلب الصحّة والعافية التي لا تقدّر بثمن، فمن النظرة الأوّلية يعتقد بأنّه شرٌّ ولكنّه لو يعلم بأنّ هذا مقدّمة لراحته لما اعترض عليه.

ثمّ إنّ الشرور التي في العالم لمّا كانت مرتبطةً بالحوادث الواقعة مكتنفةً بها كانت أعدامًا مضافةً لا عدمًا مطلقًا، فلها حظٌّ من الوجود والوقوع كأنواع الفقد والنقص والموت والفساد الواقعة في الخارج الداخلة في النظام العامّ الكوني؛ ولذلك كان لها مساس بالقضاء الإلهي الحاكم في الكون، لكنّها داخلة في القضاء بالعرض لا بالذات. [انظر: الطباطبائي، تفسير الميزان، ج 13، ص 187]

ومن هنا يقول الله تعالى: ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: 216].

كما أنّ مقتضى الطبيعة الإنسانية لا يمكن تصوّر دخالة الشرور فيها، بل الخير المطلق، عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ: «هَبَطَ جَبْرَئِيلُ عَلَى آدَمَ عليه السلام فَقَالَ: يَا آدَمُ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أُخَيِّرَكَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ فَاخْتَرْهَا ودَعِ اثْنَتَيْنِ. فَقَالَ لَه آدَمُ: يَا جَبْرَئِيلُ، ومَا الثَّلَاثُ؟ فَقَالَ: الْعَقْلُ والْحَيَاءُ والدِّينُ. فَقَالَ آدَمُ: إِنِّي قَدِ اخْتَرْتُ الْعَقْلَ. فَقَالَ جَبْرَئِيلُ لِلْحَيَاءِ والدِّينِ: انْصَرِفَا ودَعَاه. فَقَالا: يَا جَبْرَئِيلُ، إِنَّا أُمِرْنَا أَنْ نَكُونَ مَعَ الْعَقْلِ حَيْثُ كَانَ. قَالَ: فَشَأْنَكُمَا وعَرَجَ» [الكليني، الكافي، ج 1، ص 58]. حيث يشير النائيني في الحاشية إلى مطلب مهمّ، إلا وهو أنّ التخيير بين الثلاثة يبيّن لنا أنّ الحقيقة الإنسانية تقتضي شيئًا واحدًا بالذات، وهو العقل الذي يميّز به بين الشرّ والخير، ويدخل تحته ما يكون مدعاةً للانزجار عن القبائح وهو الحياء، وما يؤدّي إلى الإيمان بمبدئه وهو الدين، وأمّا اقتضاؤها لأمور أخرى فهي بالتبع، وهذه إشارة إلى أنّ ما يأتي خلاف ذلك فهو غير مقصود أوّلًا وبالذات، بل لعدم كمال العقل فيكون ثانيًا وبالتبع» [انظر: النائيني، الحاشية على أصول الكافي، ص 45].

وهذا ما يؤيّده الحديث المرويّ عن الإمام الباقر عليه السلام: «لا يكون المؤمن مؤمنًا حتّى يكون كامل العقل، ولا يكون كامل العقل حتّى تكون فيه عشر خصالٍ: الخير منه مأمولٌ، والشرّ منه مأمونٌ ...» [الطوسي، الأمالي، ص 183].

4- الشرور نتيجة فساد الإنسان

خلق الله تعالى الإنسان والعالم ضمن تقديرات، كلّ منها له دخل في ترتب الأعمال واستتباع المؤثّرات، والإنسان اقتضاء لحكمة الله تعالى جعل له الحرّية والاختيار في اتّخاذ القرارات، وما نراه

في أكثر الأمور فسادًا وأكثرها خسارةً على وجه الأرض إنّما هي بفعل الإنسان، والتاريخ أوضح شاهد على ذلك، أمثال الحروب الصليبية والحروب العالمية الأولى والثانية وبعض المجازر التي أوقعها الظلام في بلاد المستضعفين. وهذا له تأثير في امتناع نزول الخيرات وانسداد أبواب البركات، فما نراه من شرور إنّما هي من أفعال بعض الظالمين، وتعكس النتيجة على الجميع.

وكذا ظهور المصائب والحوادث كالسيل والزلزلة والصاعقة والطوفان وغير ذلك، وقد عدّ الله ﷻ سيل العرم وطوفان نوح وصاعقة ثمود وصَرصَر عادٍ من هذا القبيل، فالأمة الطالحة إذا انغمرت في الرذائل والسيّئات أذاقها الله وبال أمرها، وآل ذلك إلى إهلاكها وإبادتها، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِنَ اللهِ مِن وَاقٍ﴾ [سورة المؤمن:21]. [انظر: الطباطبائي، تفسير الميزان، ج 2، ص 181]

5- الشرّ أمر عدمي

ما ذهب إليه كثير من حكماء الإسلام المتأخّرين أمثال صدر المتألّهين ومطهري وغيرهما من علماء الغرب والمسيحية، وخلاصته أنّ الشرّ ليس أمرًا وجوديًّا حتى يقال: لماذا خلق الله الشرّ؟ لأنّ الشرّ في حقيقته عدم الخير، فالمرض في الحقيقة عدم الصحّة، والفقر عدم الغنى، والموت عدم الحياة .. وهكذا، وحينئذٍ تنتفي الشبهة من الأساس، والله تعالى خلق الموجود، وكلّ ما هو موجود فهو خير. [الشيرازي، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ج 7، ص 58؛ الطباطبائي، نهاية الحكمة، ص 310؛ مطهري، العدل الإلهي، ص 161؛ مصباح يزدي، المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، ج 2، ص 484 فما بعد]

كما نُقل عن أفلاطون أنّ الشرّ عدم، وقد بيّن ذلك بالأمثلة، فلو قيل على سبيل المثال إنّ في القتل بالسيف شرًّا، نقول الشرّ ليس في قدرة الضارب على المباشرة بالضرب، ولا في شجاعته ولا في قوّة عضلات يده؛ فإنّ ذلك كلّه كمال له، ليس من الشرّ في شيءٍ، وليس هو في حدّة السيف ودقّة ذبابه وكونه قطّاعًا؛ فإنّ ذلك من كماله وحسنه، وليس هو في انفعال رقبة المقتول عن الآلة القطّاعة؛ فإنّ من كماله أن يكون كذلك، فلا يبقي للشرّ إلّا زهاق روح المقتول وبطلان حياته، وهو عدمي، وعلى هذا سائر الأمثلة، فالشرّ عدم. [انظر: الطباطبائي، تفسير الميزان، ج 13، ص 187]

6- نسبية الشرور

أي أنّ ما يراه بعضهم شرًّا فهو شرٌّ بالنسبة إليهم، وخيرٌ بالنسبة لنفس ذلك الموجود الذي يسبّبه، ولا يوجد شرٌّ مطلق بحيث يكون شرًّا للجميع، فسمّ العقرب شرٌّ بالنسبة للإنسان وخيرٌ بالنسبة إليها، والذئب شرٌّ بالنسبة للخراف، والإنسان شرٌّ بالنسبة للذئب والعقرب،

وهكذا، فلا يوجد شرٌّ بالذات حتّى يقال: لماذا خلق الله هذا الشرّ؟!

7- تقديم المصلحة النوعية

كذلك من المسائل التي يمكن اعتبارها حلًّا لمشكلة الشرّ هي تقديم المصلحة النوعية، والمراد منه هذا كما أوضحه بعض العلماء: «أن يقال بأنّ المصالح النوعية راجحة على المصالح الفردية، فلا شكّ أنّ الحياة الإنسانية حياة اجتماعية، فهناك مصالح ومنافع فردية وأخرى نوعية اجتماعية، والعقل الصريح يرجّح المصالح النوعية على المنافع الفردية، وعلى هذا فما يتجلّى من الظواهر الطبيعية لبعض الأفراد في صورة المصيبة والشرّ، في عين الوقت يكون متضمّنًا لمصلحة النوع والاجتماع، فالحكم بأنّ هذه الظواهر شرور تنافي مصلحة الإنسان ينشأ من توجّه الإنسان إليها عن منظار خاص، والتجاهل عن غير نفسه في العالم» [سبحاني، محاضرات في الإلهيات، ص 175].

8- الفوائد الدنيوية والأخروية

يتّجه بعضهم في حلّ مشكلة الشرّ اتّجاهًا عمليًّا وتطبيقيًّا عن طريق تبرير الشرور والمصائب بالتعمّق في نتائجها المفيدة للإنسان، وهي إمّا "فوائد دنيوية" من قبل تفجير الطاقات وتقدّم العلوم ورقيّ الحياة البشرية، فإنّ الإنسان إذا لم يواجه المشاكل في حياته لا تتفتّح طاقاته ولا تنمو، بل نموّها وخروجها من القوّة إلى الفعل رهن وقوع الإنسان في مهبّ المصائب والشدائد؛ ولأجل ذلك نرى أنّ الوالدين اللذين يعمدان إلى إبعاد أولادهما عن الصعوبات والشدائد لا يدفعان إلى المجتمع إلّا أطفالًا يهتزّون لكلّ ريح؛ وإمّا "فوائد أخروية"، فالتمتّع بالمواهب المادّية والاستغراق في الملذّات والشهوات يوجب غفلةً كبرى عن القيم الأخلاقية، وكلّما ازداد الإنسان توغّلًا في اللذائد والنعم ازداد ابتعادًا عن الجوانب المعنوية، فلا بدّ لأجل انتباه الإنسان من هذه الغفلة من هزّة وجرس إنذار يذكّره ويرجعه إلى الطريق الوسطى، وليس هناك ما هو أنفع في هذا المجال من بعض الحوادث التي تقطع نظام الحياة الناعمة بشيء من المزعجات؛ حتّى يدرك عجزه ويتنبّه من نوم الغفلة، أمّا بالنسبة إلى الأولياء والصالحين من عباد الله فإنّ البلايا والمحن هي ألطاف إلهية وشرط لوصولهم إلى المقامات العالية في الآخرة. [سبحاني، الإلهيات، ص 241]

9- محدودية علم الإنسان

إنّ علم الإنسان المحدود هو الذي يدفعه إلى أنّ يقضي في الحوادث بتلك الأحكام المغلوطة وعدّها من الشرور، ولو وقف على علمه الضئيل، واعترف كما في كبار المفكّرين الذين يسلّمون بجهلهم

وعجزهم عن الوقوف على أسرار ما هم متخصّصون به: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾ [سورة آل عمران: 191]، ولأذعنوا لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الإسراء: 85].

وأوضح شاهد على ذلك القصّة التي نقلها القرآن الكريم عن العبد الصالح الخضر مع نبيّ الله موسى عليه السلام، فرغم كونه نبيًّا إلّا أنّه لم يستطع السكوت جرّاء ما فعله الخضر. [انظر: سورة الكهف: 65 - 82]

وهذا يؤيّد أنّ عدم المعرفة هو الأساس في تحميل هذه الأمور على أنّها شرور.

10- من صنع الإنسان

إنّ الرحمة الإلهيّة وقدرة الله وكونه تعالى لا يريد الشرّ بعباده كلّها من مدركات الوجدان، ولا تحتاج إلى دليل عقلي أو نقلي كما هو الحال في نفس وجود الله وسائر صفاته وأسمائه الحسنى، إنّ الله خلق الكون وجعله يجري وفق قوانين ثابتة كقوانين الجاذبية وقوانين ضغط الماء والأمواج والهواء والوراثة والاستمرارية وانعكاس النور والأمواج الكهرومغناطيسية وما إلى ذلك، ومن خلال توفّر مقوّمات الحياة في الكرة الأرضية من مقادير معيّنة من الهواء والماء والتراب وأشعّة الشمس المناسبة، ظهرت الحياة على الأرض ومنها حياة الإنسان، هذا هو ما نفهمه فقط وفقط عن الله المطلق والخالق لعالم الوجود، وما سوى ذلك فهي تفسيرات وقراءات بشرية عن الغاية من خلق العالم والإنسان وعن الله المطلق أيضًا فيما يتّصف به من صفات الجلال والكمال كالتوحيد والرحمة والعدالة والرزق و... فعندما وجد الإنسان على هذه الأرض شاهد ظواهر الطبيعية كثيرةً، وتحرّك ذهنه في إيجاد تفاسير معقولة لهذه الظواهر، وعلى رأسها العلّة الأولى لخلق هذا العالم والإنسان والغاية من ذلك، فكانت رؤية التوحيد والشرك والثنوية والتثليث وتعدّد الآلهة تمثّل تفاسير وقراءاتٍ لتلك العلّة الأولى، والحال أنّ الواقع والحقيقة المطلقة أو الذات المقدّسة لا يمكن للعقل البشري إدراكها والعلم بها ولا إدراك صفاتها وحالاتها: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [سورة الشورى: 11]، وما نفهمه عن الذات المقدّسة يمثّل تصوّراتٍ بشريةً ناقصةً وفي حدود ما ينسجم وفهم الإنسان وميوله النفسية وحاجاته الروحية ودرجة تحصيله العلمي وموروثه الاجتماعي وتقاليده العرفية.

فلعلّ أكثر البشر حينما تصوّروا الله تعالى وصفاته تصوّروه بحسب ما هم يريدون ويفهمون، عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام: «كُلُّ مَا مَيَّزْتُمُوهِ بِأَوْهامِكُم في أَدَقِّ مَعانيهِ، فَهُوَ مَخْلُوقٌ لَكُم وَمَرْدُودٌ إِلَيكُم» [الفيض الكاشاني، الوافي، ج 1، ص 506]، ولعلّ النمل الصغار تتوهّم أنّ لله تعالى زبانيتين! فإنّ ذلك كمالها ويتوهّم أنّ عدمها نقصان لمن لا يتّصف بهما، وهذا حال العقلاء فيما يصفون الله تعالى به.

الرأي المختار

إنّ النظرة المادّية للعالم أثّرت على الفطرة السليمة التي أوجدها الله تعالى في الإنسان، فجعلته يرى ما ليس علّةً علّةً، وأخذ ما بالعرض مكان ما بالذات، فالفكر السليم المبنيّ على أسس عقلية رصينة بيّنة ومبيّنة يأبى شبهةً كهذه؛ لأنّه بعد التسليم - بأدلّة مبحوثة في محلّها - بوجود خالق حكيم لهذا الكون يستحيل أن يصدر العبث منه، غني بذاته لا يحتاج إلى مخلوقاته، خلق الخلق بنظام دقيق لا يختلجه أي نقص ولا يشوبه أي خدش؛ وكمال كلّ موجود بحسبه، والإنسان بأفعاله الاختيارية يتكامل للوصول إلى ما هُيّئ له من الكمالات.

إذن فلكلّ شيء طبيعته وحقيقته الخاصّة به، فحقيقة النار الإحراق وعدم وصول النار الى كمالها يعتبر شرًّا بالنسبة لها.

فلا يمكن أبدًا التسليم بوجود خللٍ في ألوهيته ولا في صفاته ولا في انعزاله عن العالم ﴿تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَصِفُونَ﴾. بل لا بدّ أن تكون النظرة الى العالم متّصلةً وأن يؤخذ فيها بنظر الاعتبار العالم الحقّ واليوم الآخر، وأنّ الدنيا هي دار مؤقّتة تتلوها الحياة الأبدية التي من أجلها خُلق الإنسان، وهذه الدار معتمدة في مقاماتها على الابتلاءات والاختبارات في الحياة الدنيا المؤقّتة، وكلّما حصّل على الإنسان من ظلم في هذه الحياة يعوّض عنه في الآخرة، وأنّ الابتلاءات في الحياة الدنيا تؤثّر إيجابيًّا في المقامات والدرجات في الحياة الآخرة. وهذا ما نجده واضحًا من تفسير الآيات والروايات للشرّ كما تقدّم. فكلّ المعاني التي ذكرت في الآيات والروايات تريد من الشرّ النقائص التي تلحق المؤمن وتمنعه من التكامل كما مرّ، وبهذا تكون خارجةً عن دائرة معنى الشرّ المدّعاة.

وأيضًا لا بدّ أن يلاحظ خلق الإنسان من النفس والبدن والابتلاءات تؤثّر في قوى النفس وتكاملها إيجابيًّا، فالقوى العقلية والمادّية في الإنسان تتأثّر عكسيًّا إحداها مع الآخرى، فالعاقلة تتعاكس مع الشهوية والغضبية، فكلّما قويت إحداهما تسافلت الأخرى.

فوجود خالق حكيم، والدار الباقية التي تبنى من الحياة الدنيا وأصل تركيب الإنسان من الملائكية والجسمانية كلّ هذه الاعتبارات وغيرها مأخوذة في أصل بيان الواقع كما هو، فلا يمكن أخذ بعض الأمور بمعزل عن الأخرى؛ فإنّها ستكون نظرةً ناقصةً للعالم.

فأصل الشبهة إنّما جاءت من النظرة غير الدقيقة والسطحية، إمّا في عدم الاعتقاد بوجود إله لهذا الكون، أو بوجود خالق ولكن لم تثبت صفاته بشكل برهاني، وهكذا.

وبعض ما يدّعى بأنّها شرور فهذه من الصفات الملازمة لهذا العالم الذي نعيش فيه،

والذي هو أفضل العوالم التي يمكن أن توجد؛ وكلّ ما يحصل على المكلّف من خدش أو أذية في هذا العالم يعوض عنه في العالم الآخر. عن عبد الله بن أبي يعفور قال: «شكوت إلى أبي عبد الله عليه السلام ما ألقى من الأوجاع - وكان مسقامًا، فقال لي: يا عبد الله، لو يعلم المؤمن ما له من الأجر في المصائب لتمنّي أنّه قرض بالمقاريض» [الكليني، الكافي، ج 2، ص 255].

وما دمنا قد اعتقدنا بالدليل القطعي بحكمة الخالق، ولم نحصل على دليل علمي وحسّي قطعي على أنّ بعض الحوادث هي شرٌّ، بل الدليل العلمي - كما أثبتناه في بعض المسائل في التفسير العلمي للشرور - أثبت فيها خيرًا، وخيرها أكثر من شرّها، فلا بدّ لنا من القول بضرس قاطع بأنّ هناك حكمةً من خلق أمور كهذه، وعدم اطّلاع الإنسان على حكمتها ليس دليلًا على شريّتها، فإنّ عدم الوجدان لا يدلّ على عدم الوجود.

أمّا هل يستطيع الله أن يخلق عالمًا من دون شرٍّ؟ إنّ الله تعالى - كما ثبت بالنقل - قد خلق عالم الملكوت الذي لا توجد فيه أيّ مظهر من المظاهر التي يعتبرها بعضهم شرًّا، فهو عالم متكامل غير خاضع للمادّة ولوازمها وتضادّها، بل هو عالم العقول.

ولكن ينتفي العقاب والثواب هناك؛ لعدم وجود الشهوات التي هي ملاك الاختبارات، وتترتّب فيها المنازل بحسب المصائب والابتلاءات والقرب من الرضوان الإلهي والفوز بها.

مقتضى عالمنا أن يكون مراحل واختبارات مثل الذي يريد أن يشارك في مسابقة دولية، فيحتاج أن يُكره نفسه على بعض الأمور ويمرّن جسده وإن كان فيه أذية على نفسه، ويسلب منه راحة النوم وغيرها؛ لأنّ الهدف هو أسمى من هذه التضحيات الجزئية لذلك يقدم عليه، وهذا ديدن العقلاء، كما أنّ بعض ما جعله البشر من هدايا وتحفيز في مباريات أو ألعاب غايتها معرفة الأقوى والأسرع والأذكى، وهي مسألة جرت عليها سيرة الناس من تكريم الكفاءات بالقدرات التي يمتلكونها، فلم يصنعوا آلةً تعمل بذاتها لألعابه كهذه؛ لكونها تفقد حسّ الإبداع والتنافس.

فلماذا حينما يواجه مثيرو هذه الشبهة وأمثالها سيرة كهذه لا يشكلون عليها؛ مع أنّ السبب عينه، فلا بدّ إذن من التشكيك في نواياهم وغاياتهم من وراء هذه الإثارات. فمن أراد أن يتّضح له أصل العالم وخلوّه من العيب والشرّ فلا بدّ له من تصفية معتقداته والابتداء من أسس عقلية رصينة مبنيّة على قضايا بيّنة ومبيّنة؛ حتّى يرى الواقع الذي كان يراه بصورة مشوّهة جميلًا وكاملًا.

فنكون بذلك قد أجبنا عن أصل هذه الشبهة بأجوبة علمية ودينية.

قائمة المصادر

القرآن الكريم.

ابن سينا، الحسين، إلهيات الشفاء، راجعه وقدّم له الدكتور إبراهيم مدكور، تحقيق الأستاذين: الأب قتواتي وسعيد زايد، الجمهورية العربية المتحدة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1960 م.

الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، نشر: دار الثقافة، قم المقدسة، الطبعة الأولى، 1414 هـ.

القمي، علي بن الحسين بن بابويه، الإمامة والتبصرة من الحيرة، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه، قم المقدسة، الطبعة الأولى، 1404 هـ.

المجلسي، محمدباقر، بحار الأنوار، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية، 1983 م.

الزبيدي، مرتضى، تاج العروس، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1994 م.

الحراني، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الثانية، 1404 هـ.

الداماد، محمدباقر، التعليقة على أصول الكافي، تحقيق السيد مهدي رجائي، مطبعة الخيام، قم المقدسة، 1403 هـ.

الطباطبائي، محمدحسين، تفسير الميزان، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.العلوي العاملي، أحمد بن زين العابدين، الحاشية على أصول الكافي، تحقيق: السيد صادق الحسيني الأشكوري، دار الحديث للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، 1388 ش.

النائيني، محمد بن حيدر، الحاشية على أصول الكافي، دار الحديث للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1424 هـ.

العقاد، عباس محمود، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، مؤسسة هنداوي، 2014 م.

إخوان الصفا، رسائل اخوان الصفاء، مركز النشر: مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدسة، 1405 هـ.

الفيض الكاشاني، محسن، تحقيق ضياء الدين الحسيني، مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام العامة في أصفهان، الطبعة الأولى، 1406 هـ.

مجموعة مؤلفين، شرح المصطلحات الفلسفية، نشر: مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، الطبعة الأولى، 1414هـ.

الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، 1407 هـ.

العقاد، عباس محمود، عقائد المفكرين، الناشر مؤسسة هنداوي، 2014 م.

الآمدي، عبد الواحد بن محمد التميمي، غُرَرُ الحِكَم و دُرَرُ الكَلِم، صححه السيد مهدي الرجائي، دار الكتاب الاسلامي، قم، الطبعة الثانية، 1410 هـ.

الداماد، السيد محمد باقر، القبسات، باهتمام الدكتور مهدي محقق، والدكتور سيد علي موسوي بهبهاني والبروفيسور إيزوتو والدكتور إبراهيم ديباجي، الناشر: مؤسسة انتشارات وطباعة جامعة طهران، 1374 ش.

الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، الناشر: دار الكتب الاسلامية، طهران، الطبعة الثالثة، 1388 ش.

ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، الناشر: نشر أدب الحوزة، 1405 هـ

جاسم حسن، مشكلة الشر في اللاهوت المسيحي.. عرض ومناقشة، مجلة الدليل، العدد 13.

الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، الناشر: مرتضوي، الطبعة الثانية، 1362 ش.

سبحاني، جعفر، محاضرات في الإلهيات، تلخيص: الشيخ علي الرباني الگلپايگاني، نشر: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام.

الفيومي، أحمد بن محمد المقري، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، الناشر: طليعة النور، الطبعة الثانية، 1427 هـ.

الملكي الميانجي، محمدباقر، مناهج البيان في تفسير القرآن، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد الإيرانية، الطبعة الأولى، 1414 هـ.

الريشهري، محمد، موسوعة العقائد الإسلامية، دار الحديث، قم، الطبعة الثالثة، 1386 ش.

بدوي، عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1984 م.

المامطيري، علي بن مهدي الطبري، نزهة الأبصار ومحاسن الآثار، تحقيق: محمدباقر المحمودي، الناشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، الطبعة الأولى، 2009 م.

الكاشاني، محمدمحسن، الوافي، الناشر : مكتبة الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام في أصفهان. تحقيق: ضياء الدين الحسيني الأصفهاني، الطبعة الأولى، 1365 ش.

السيوري، المقداد، الأنوار الجلالية في شرح الفصول النصيرية، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، الطبعة الأولى، 1420 هـ.

الآمدى التميمي، عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم، تحقيق: سيدمهدي رجائي، الناشر: دار

الكتاب الإسلامي، قم، الطبعة الثانية، 1410 هـ.

المجلسي، محمدباقر بن محمدتقي، بحار الأنوار، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية، 1983 م.

المجلسي، محمدباقر بن محمدتقي، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، تحقيق: سيدهاشم رسولي محلاتي، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثانية، 1404 هـ.

الحراني، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الثانية، 1404 هـ.

الشيرازي، صدر الدين محمد، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1981 م.

الطباطبائي، محمدحسين، نهاية الحكمة، صححه وعلق عليه: عباس علي الزارعي السبزواري، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الرابعة عشرة، 1417 هـ.

مطهري، مرتضى، العدل الإلهي، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، 2015 م.

مصباح اليزدي، محمدتقي، المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، ترجمة: محمد عبد المنعم الخاقاني، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، 1428 هـ.

الفيض الكاشاني، محمد بن مرتضى بن محمود، تحقيق: ضياء الدين الحسيني الأصفهاني، الناشر: مكتبة الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام العامة بأصفهان، الطبعة الأولى، 1406 هـ.

Refrence

Grand Rapids, Faith and Reasonm, MI: Zondervan, 1988.

James S.Monroe, Reed Wicander, Richard Hazlett, Physical Geology-Exploring the Earth-6th Edition.

Serres MH, Gopal S, Nahum LA, Liang P, Gaasterland T, Riley M، «A functional update of the Escherichia coli K-12 genome».

Hock, Roger R. Forty Studies that Changed Psychology: Explorations into the History of Psychological Research (5th Edition), 2004.

Leibnitz،Essays of Theodicy on the Goodness of God .